إيضاحات على ملاحظات كُنَّاشة السَّفسيف
على هامش تحقيق مسمَّط "أحرم الحجاج"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى السلام على الصادق الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

مدخل

أما بعد، فإنه من دواعي السرور أن نرى في الساحة العلمية من يقرأ فيكتب ويعلّق وينتقد، إذ لا يخفى ما للنقد العلمي البنّاء من دور مهم في تنمية الحركة العلمية، وتظهر فاعليته بمدى توظيف نتائجه، من حيث استدراك الأخطاء وتصحيحها، وتقويم النتاج العلمي، وحتى يؤتي النقد أُكُله فإنّه لا بد أن يتّصف الناقد بصفات من شأنها أن تنتج تلك النتائج المرجوّة، ولعل أهمها أن لا يكون مرتجلا في نقده، وأن تكون له الخبرة والثقافة والأهلية والكفاءة الكافية في الفن والعلم المتعلقين بنقده، وأن يتميز بالدقة في الحكم على الأمور، مراعيًا قطعية النتائج ونسبيتها.

ومن الضروري تقبّل النقد الموضوعي البناء؛ لأن الهدف هو إبراز النتاج العلمي بصورته المرجوّة التي من شأنها تنمية الحركة العلمية، وخدمة العلماء والمتعلمين والباحثين، ومن كان هذا هدفه فإنه لا يأبى النقد لتحسين عمله وإبرازه في تلك الصورة.

وقد أتحفني بعض الأحبة بـ(كُنّاشةٍ) للأستاذ إبراهيم بن علي السَّفسيف (حفظه الله) كتبها بعنوان (قصيدة "أحرم الحجاج" ملاحظات على هامش التحقيق)، وقد سجّل فيها نقده على تحقيقنا لقصيدة (أحرم الحجاج) للعلامة الفقيه الأديب الشيخ حسن بن محمد

الدمستاني (ت: ١١٨١هـ)، الذي صدر بعنوان (أحرم الحجاج، مسمط الدمستاني في نظم مقتل الحسين عليه السلام).

وقد سُعدت جدًّا بذلك؛ إذ توجيه النقد يعني أن الناقد قد قرأ مهتمًّا بما يقرأ، حريصًا على تقويم النتاج الذي بين يديه، مُخلصًا للأمانة العلمية، وقد أرسلتُ للناقد الكريم شاكرًا، وأراني لا بد أن أتوجه له بالشكر هنا مرة أخرى، مُسجِّلا بعض الإيضاحات على ما أورده في كُنَّاشته التي ضمنَّها ٦ ملاحظات.

إيضاح على الملاحظة الأولى

قال (حفظه الله): "اختار المحقق – في العنوان الجانبي لتوصيف القصيدة – لفظة "نظم" ولا أعلم لِمَ لمْ يختر لفظ (مرثية/قصيدة) مثلاً، خصوصًا إذا علمنا أن (النظم) يُطلق على الشعر الذي راعى الوزن والقافية، وخلا من الخيال والعاطفة. مع أن القصيدة ملأى بالعنصرين الأخيرين. بل يمكن القول: إنّ المعالجة الفنّية في بناء القصيدة جاءت مبتكرةً كما نمطها الشعريّ غير المسبوق".

أقول:

إن النّظم تارةً يُطلق على ما هو أعم من الشعر والنثر، فـ"النظم: التأليف"[١] بل هو أعم من نظم الكلام، وتارةً يكون في مقابل النثر من الكلام، فـ"الشعر منظوم القول"[٢]، وتارةً يكون في مقابل الشعر الذي يقوم على الشعور والعاطفة والخيال، وهنا يكون النظم أقل جودةً من الشعر من حيث المضمون والخيال والعاطفة، إلا أنّه يقوم على الوزن والإيقاع، فمتى ما اتصف بباقي الخصائص الشعرية سُمّي شعرًا، وعليه لا يخفى أن بين

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج١٢ ص٥٧٨، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج٤ ص٤١٠، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

الشعر والنَّظم عمومًا وخصوصًا مطلقًا، فإنّ كل شعر نظمٌ، وليس العكس، فلا غضاضة في تسمية الشعر بالنظم، وإنما في عكسه، ولذا يُقال: نظمتُهُ شعرًا.

ثُمّ إن العنوان الجانبي لتوصيف القصيدة الذي اخترناه هو: (مُسمَّط الدمستاني في نظمِ مقتل الحسين عليه السلام). وهو واضح في أننا وصفنا القصيدة بـ(المسمط) استنادًا للنمط الذي كُتبت عليه، وهي كُتبت في نظم المنثور من مقتل الحسين (عليه السلام)، فلا وجه لما ذُكر في هذه الملاحظة.

إيضاح على الملاحظة الثانية

قال (حفظه الله): "والسؤال هنا، ما مدى دقة قول المحقّق: "ولا يبعد تأثر الدمستاني – بحكم مكوثه في فارس مدّة لا يُستهان بها – في قصيدته بقصيدة الشاعر الفارسي محتشم الكاسانيّ (٩٩٦هـ) التي تعدّ من أشهر مراثي الحسين (عليه السلام) باللغة الفارسية، وقد كُتبت على التركيب بند"؟ (ص:٥٥-٥٦). ذلك حين نلاحظ أن شعر البند نشأ – أو على الأقل كان معروفًا – في جنوب العراق والأحواز والخليج في القرن الثاني عشر الهجري بحسب بعض الباحثين ..".

أقول:

إن الناقد الكريم خلط هنا بين (شعر البند) وبين (التركيب بند)، ولا علاقة لأحدهما بالآخر، أما الأول فهو من أنماط الشعر العربي، يُكتب على هيئة النثر، ويقوم إيقاعه على أساس التفعيلة الواحدة المتكررة، ويبنى على بحر الهزج وبحر الرمل[٣]، وهو نمط شعري اخترعه أهل الحويزة[٤]، ثم شاع عند غيرهم.

---

(٣) انظر مثلا: يعقوب، إيميل بديع: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص١٦٧-١٦٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

(٤) الأمين، السيد محسن: معادن الجواهر ونزهة الخواطر، ج٣ ص٦٢٧، دار الزهراء، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

وأما الثاني فهو من أنماط الشعر الفارسي، يتألف من أقسام يتراوح عدد أبياتها بين خمسة أبيات وأحد عشر بيتًا، ولكل قسم قافية، والقافية في المصراعين الأولين هي القافية في المصراع الثاني من كل بيت، وقافية كل قسم غيرها في الأقسام الأخرى، وبعد كل قسم بيتٌ يُكرر رويُّه في الأقسام الأخرى وله قافية واحدة، و(بند) هنا فارسية معناها الربط[٥]، ويسمى كل قسم في هذا النمط بالفارسية (بندًا).

إيضاح على الملاحظة الثالثة

قال (حفظه الله): "اعتمد المحقق في تحقيقه على أربع نسخ خطية لديوان الشيخ الدمستاني، وبحسب الفهرس الموحّد للمخطوطات الإيرانية (فنخا) توجد نسختان أخريان للديوان – الذي يحتاج ذاته إلى تحقيق علمي –، الأولى في تهران: كتابخانة مليّ ملك، شماره نسخة: ١٨٠٧/٢٩، والثانية في تهران: كتابخانة محمود فرهاد معتمد، شماره نسخة: ٢١٦".

أقول:

أود التنبيه هنا على أن الاعتماد على ما ورد في الفهرس الموحّد للمخطوطات الإيرانية (فنخا) دون الرجوع للفهارس الأصل المنقول عنها غير كافٍ، بل الرجوع إلى بيانات الفهارس وحدها قد لا يكون كافيًا أيضًا، فلا بدّ من الاطلاع على النسخة قبل إصدار الأحكام.

---

(٥) انظر مثلا: التونجي، محمد: المعجم المفصل في الأدب، ج١ ص٢٤٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

أما النسخة الأولى المذكورة، فلو أتعب الناقد الكريم نفسه في مراجعة فهرس مخطوطات مكتبة ملك الوطنية[٦] لأغناه ذلك حتى عن الرجوع للمخطوط في تدوين هذه الملاحظة؛ فإن النسخة المذكورة ليست لديوان الشيخ الدمستاني كما أوهمه فهرس (فنخا)، والنسخة المشار إليها برقم ١٨٠٧ هي مجموع تضمّن شروحًا لقصائد وقصائد متنوعة لشعراء متعددين، كان من بينها – تحت رقم ٢٩ – القصيدة الهائية للشيخ الدمستاني التي مطلعها: (إيَّاك والعشق لا تمرر بواديه *** ولو تمزَّق من غبط معاديه)، وهي تقع ضمن اللوحات ١٥٨ إلى ١٦٠ من المخطوط. فتبيَّن أنه لا علاقة لهذه النسخة الخطية بما نحن فيه.

وأما النسخة الثانية، فهي نسخة مكتبة محمود فرهاد معتمد تحت رقم ٢١٦[٧]، وهذه المكتبة تقسّمت على ورثة محمود فرهاد بعد موته، ثم تفرّقت، وليس لها وجود الآن، فالوصول للنسخة غير ممكن الآن، كما يحتمل كونها إحدى النسخ التي اعتمدناها، حيث كانت في مكتبته ثم انتقلت بالبيع والشراء إلى مكتبة أخرى كمكتبة المرعشي، إلا أنه لا سبيل لإثبات ذلك أيضًا؛ لأنه لا توجد بيانات كافية في الفهرس يمكن من خلالها تطبيقها على النسخ الموجودة بأيدينا.

إيضاح على الملاحظة الرابعة

قال (حفظه الله): "أحصى المحقق ٢٦ عملاً فكريًّا للشيخ الفقيه .. ونستدرك عليه هذا العمل: الفتاوى الحسنيَّة في العلوم المحمّديّة، في أحكام الطهارة والصلاة. وهو موجود في قمّ المقدّسة: كتابخانة عمومي آية الله مرعشي، شماره نسخة: ٢٣٥٠".

---

(٦) افشار، ايرج؛ دانش پژوه، محمد تقي: فهرست نسخه هاى خطى كتابخانه ملى ملك، ج٥ ص٣٦٨-٣٧١ رقم٤٢٧، كتابخانه ملى ملك، طهران، ط١، ١٣٦٣ش.

(٧) افشار، ايرج؛ دانش پژوه، محمد تقي: نشريه كتابخانه مركزى دانشگاه تهران، ج٣ ص١٧٩، انتشارات دانشگاه تهران، طهران، ط١، ١٣٤٢ش.

أقول:

أعاد الناقد الكريم الكرَّة هنا، فاعتمد في نقده واستدراكه على فهرس (فنخا) [٨] دون أدنى مراجعة، فتابع صاحبَ فهرس (فنخا) على خطئه، فلو راجع الفهرس الأصل[٩] الذي اعتمد عليه صاحب (فنخا) لوجد ضالَّته، وتبيَّن له خطأ النسبة المذكورة، فإن الكتاب المذكور من تأليف عمّنا الشيخ حسن بن العلامة الشيخ حسين آل عصفور البحراني، وهو معلوم النسبة صحيحها، ومخطوطته بأيدينا، وهو مطبوع في ربيع الثاني سنة ١٤٠٩هـ بتحقيق أبي أحمد بن أحمد آل عصفور، مع تحريف في عنوانه.

ختام

أكتفي بهذه الإيضاحات على الملاحظات المذكورة، أما الملاحظتان الأخيرتان اللتان ذكرهما الناقد الكريم، فهما محل أخذ وردّ عند أصحاب فن التحقيق، وقد يرجع بعضها إلى استحسانات ذوقية، لذا أعرضت عن ذكرها على أني أوافقه في بعض جزئياتها إجمالا لا تفصيلا. وفقه الله تعالى لمراضيه، وجعل حاضره خيرًا من ماضيه، بمحمد وآله.

والحمد لله رب العالمين، وكتب الراجي شفاعة الحسين الشهيد، حسن بن علي آل سعيد، في يوم الثلاثاء غرة شهر صفر المظفر سنة ١٤٤٦هجرية.

---

(٨) درايتي، مصطفى: فهرستگان نسخه های خطی ایران، ج٢٣ ص٥٨٠، سازمان اسناد وكتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران، طهران، ط١، ١٣٩٢ش.

(٩) الإشكوري، أحمد: فهرست نسخه های خطی كتابخانه عمومی حضرت آیت الله العظمی نجفی مرعشی، ج٦ ص٣٢٥ رقم٢٣٥٠، كتابخانه مرعشی نجفی، قم، ط٢.